

المحاضرة: 04 : مولود فرعون.

1-مولود فرعون:

يعتبر الكاتب، مولود فرعون، واحدا من أبرز مؤسسي الأدب الجزائري الفرنسي، وسط كتاب آخرين على غرار محمد ديب ومولود معمري وكاتب ياسين، ويصفه الناقد الفرنسي المتخصص في الأدب الجزائري، جان ديجو، أن “الأدب الجزائري المعاصر المكتوب بالفرنسية، ولد، في واقع الأمر، بصدور رواية “ابن الفقير” لفرعون في بداية الخمسينيات”.

هذه الرواية التي تعد باكورة أعماله، جاءت في شكل سيرة ذاتية، تؤرخ للبؤس الذي عاشه بطلها “فورولو”، في ظل الحياة اليومية بمسقط رأسه في منطقة القبائل، إبان الحقبة الإستعمارية.

وكان صدور هذه الرواية للمرة الأولى عن “دار لوسوي” بباريس سنة 1954، وكان مولود فرعون قد أراد أن يصور أبناء بلده على بساطتهم، لا كما يفترى عليهم، وكان هذا شغله الشاغل من خلال مؤلفاته إلى أن اغتيل سنة 1962.

ورسم هذا العمل الفريد من نوعه - والذي تمت ترجمته فيما بعد إلى العديد من اللغات - طريق النجاح لبقية أعماله، “الأرض والدم” و”الدروب الصاعدة”، و”ابن الفقير” والتي تم إدماجها بعد الإستقلال ضمن المناهج الدراسية الجزائرية.

ويرى الكاتب، بوداود عمير، “أن كتابات مولود فرعون، تمتاز بمزجها بين التحقيق الميداني والقصة التوثيقية، حيث كان يعتمد فيها على المراقبة العينية والمعرفة الوثائقية المقربة لمنطقة قضى فيها طفولته وجزءا كبيرا من شبابه”، مرجحا أن “هذا اللون من الكتابة اقتضته مآسي الحرب وبؤس حياة السكان وفظاعة زمن الاستعمار”.

واستشهد، عمير بقول فرعون عن مؤلفه: “لقد كتبت “ابن الفقير” أثناء سنوات الحرب المظلمة على ضوء مصباح تقليدي، في هذه الرواية، يمكن القول إنني وضعت أفضل ما عندي”، وكان مولود فرعون قد رد على سؤال للكاتب والصحافي الفرنسي، مورييس مونواييه (1920 - 2016)، بخصوص اعتبار الرواية سيرة ذاتية، قائلا: “نعم، أنا متمسك، وبشكل كبير، بهذا الكتاب، أولاً، لكوني لم أكن أكل إلا عندما كنت أحس بالجوع، كما أن هذه الرواية جعلتني أنتبه إلى إمكاناتي، فالنجاح الكبير الذي حققته شجعني على المضي قدماً في كتابة روايات أخرى”.

وأفاد بوداود، أن صاحب “الدروب الوعرة” واجه مصيره بشجاعة منقطعة النظير حيث قال قبل وفاته: “أعلم أنني، ربما، سأموت اليوم... قد أعدم بالرصاص غداً، ولكنني أعلم أنني أنتمي إلى شعب عظيم يملك عزة نفس، استطاع أن يززع قرنا من السبات الذي أغرقه في ظلام دامس، وأن لا شيء يمكنه، منذ الآن، إعادته إلى سابق عهده”.

الكاتب والصحافي، مورييس مونواييه، عاش في الجزائر ما بين 1948 و 1956 وشغل منصب رئيس تحرير في صحيفة "الجهد الجزائري"، وكانت تجمعها صداقة متينة بفرعون حيث كانت بينهما مراسلات كثيرة قد جمعها الباحث إقبال مهني في كتاب عنوانه: "مولود فرعون، مورييس مونواييه: قصة صداقة"، حسب ما ذكر الكاتب بوداود عمير.

كما نقل عمير وصف مورييس أول لقاء له مع مولود فرعون، حيث قال: "كلمني عنه إيمانويل روبليس، بعد نصف ساعة، دخل إلى مكثبي، يداه كانتا مرتبكتين، كان يحمل مظلة ومحفظة جلدية، تخلص من هذه الأشياء قبل أن يضافحني بمحبة، بدا لي متوجسا، يكاد يكون خجولا، ولكن ما إن تتوافر أجواء الثقة حتى يتفاعل بنشاط، ويفتح قلبه، إنه الإنسان الأكثر روعة من بين الذين عرفتهم، عندما كان يتكلم، كنت ألاحظه خفية، من خلف زجاج نظارته المثيرة للإنتباه، كانت عيناه تشعان بريقا حيث يلوح من خلالهما، بصيص قادم من عمق حياة داخلية."

المحاضرة 05: مولود معمري

روائي وباحث جزائري أرسى قواعد اللغة الأمازيغية، وكرس حياته للبحث والتنقيب في ثقافة الأمازيغ. أدى منع إحدى محاضراته في جامعة تيزي وزو عام 1982 إلى ما سمي بالربيع الأمازيغي. اشتهر بمؤلفاته المكتوبة باللغة الفرنسية.

ولد مولود معمري يوم 28 ديسمبر 1917 في قرية "ثاوريرث ميمون" بمدينة "آيث يني" بولاية تيزي وزو

بالجزائر. بدأ تعليمه الأولي في مسقط رأسه، وفي سن الثانية عشرة انتقل إلى مدينة الرباط للدراسة، وعاد بعد أربع سنوات إلى الجزائر، ثم انتقل إلى باريس والتحق بالمدرسة العليا للأساتذة.

في عام 1940 عاد إلى الجزائر مجددا والتحق بكلية الآداب بجامعة الجزائر، وهي الفترة التي نشر فيها سلسلة مقالات بمجلة "أكدا" المغربية حول المجتمعات الأمازيغية من خلال تناولها ببعد أنثروبولوجي ساهم في تطوير اللغة والثقافة الأمازيغيتين.

وبسبب نشاطه اللافت، تعرض لملاحقات ومضايقات من طرف الاستعمار الفرنسي، ما دفعه إلى مغادرة الجزائر والاتجاه مجددا إلى مدينة الرباط المغربية عام 1957، وهي المحطة التي سمحت له بالتعرف بكتاب مغاربة أمازيغ، وإثراء مداركه في علم اللسانيات الأمازيغية حيث قام بمحاولات لتأسيس قاموس أمازيغي موحد بين دول المغرب الكبير. بدأ معمري مساره المهني مدرسا في مدينة المديّة الجزائرية، وأصبح عام 1963 أول رئيس لاتحاد الكتاب الجزائريين، قبل أن يغادر الاتحاد لخلافات إيديولوجية وفكرية بينه وبين أعضائه. أشرف في الفترة ما بين 1965 و 1972 على تدريس اللغة الأمازيغية بالجامعة، غير أنه منع من إلقاء محاضرات باللغة الأمازيغية في خلية الأنثروبولوجيا التي كان يشرف عليها في الجامعة.

وخلال الفترة الممتدة ما بين 1969 و 1980، تولى معمري رئاسة المركز الوطني للأبحاث الأنثروبولوجية ودراسات ما قبل التاريخ، وفيها أصدر مجلة علمية متخصصة تحمل عنوان "ليبكا".

وفي 10 مارس/آذار 1980، منعت السلطات الجزائرية إلقاء محاضرة بجامعة تيزي وزو بعنوان "الأدب الشعبي القبائلي" ما أدى إلى احتجاجات عارمة أصبحت تسمى فيما بعد بـ "الربيع الأمازيغي". وفي عام 1982 أسس بباريس مركز الدراسات والأبحاث الأمازيغية. اشتهر معمري بمؤلفاته المكتوبة باللغة الفرنسية، وكتب العديد من الروايات، منها روايته الأولى "الهضبة المنسية" أو "الربوة المنسية" الصادرة عام 1952، ولقيت اهتماما بالغا من طرف النقاد والأدباء.

وكتب عن تلك الرواية عميد الأدب العربي طه حسين في دراسة نقدية ضمن كتابه نقد وإصلاح، جاء فيها "كتاب الربوة المنسية دراسة اجتماعية عميقة دقيقة تصور أهل هذه الربوة في عزلتهم، وقد فرغوا لأنفسهم واعتمدوا عليها، فلم يكادوا يذكرون أحدا غيرهم من الناس، وهم يجهلون ما وراء الجبال التي تقوم دونهم، لا يعرفون إلا حين يضطرون إلى ذلك اضطرارا وما أقل ما يضطرون إليه، وهم لا يشعرون بالحكومة إلا حين تجبي منهم الضرائب على ما تنثمر لهم الأرض وما يكسبون من المال."

وإلى جانب "الربوة المنسية"، كتب معمري "غفوة العادل" (1955) و"الأفيون والعصا" (1965)، "العبور" (1982)، وفي عام 1965 جمع ونشر مجموعة قصائد الشاعر القبائلي "سي محند أومحمد"، وفي عام 1973 نشر مجموعة قصصية تحت عنوان "موظفة البنك".

أصدر معمري عام 1980 ديوان شعري بعنوان "أشعار القبيلة"، وفي عام 1982 أسس مجلة "أوال" (الكلمة) التي تعنى بالقضايا الثقافية الأمازيغية، وأنجز عملاً غير مسبوق في النحو الأمازيغي أسماه "تاجرومت" أي القواعد.

وله مقالات أنثروبولوجيا منشورة تهتم بالمسألة الأمازيغية، وقد حوّلت بعض أعماله إلى أفلام خالدة في تاريخ السينما الجزائرية أشهرها فيلم "الهضبة المنسية" و "الأفيون والعصا" للمخرج الجزائري المعروف أحمد راشدي.

حصل معمري على جوائز عدة تقديراً لجودة أعماله الروائية والأكاديمية، منها جائزة الدكتور هونور. وفي عام 1988 كرم بالدكتوراه الفخرية من طرف جامعة السوربون بفرنسا نظير ما قدمه من أعمال أدبية إنسانية خالدة.

توفي معمري في حادث سير يوم 26 فبراير 1989 خلال عودته من ملتقى عقد بمدينة وجدة المغربية، ودفن في قريته ثاوريرث ميمون في جو جنائزي مهيب حضره أكثر من مئتي ألف شخص.